المعرفة

في

بيان عقيدة المسلم

العلامة المرحوم الشيخ

عبد الكريم الرفاعي

المتوفى سنة ١٣٩٣

رحمه الله تعالى

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

دار الإمام الغزالي

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي

المعرفة في بيان عقيدة المسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

مكتبة لسان العرب

المعرفة

في

بيان عقيدة المسلم

العلامة المرحوم الشيخ

عبد الكريم الرفاعي

المتوفى سنة ١٣٩٣

رحمه الله تعالى

تقديم

فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي

دار الإمام الغزالي

دمشق - سورية

الـــــردمـــــك ٧-١٧-٤٣٠-٩٩٣٣-٩٧٨

الرقم الموضوعي : ٢١٤

المــوضـــوع : العقيدة الإسلامية

الـــعـــنـــوان : المعرفة في بيان عقيدة المسلم

الــتـــألـــيـــف : الشيخ عبد الكريم الرفاعي

عدد الصفحات : ٩٦ صفحة

الــقـــيـــاس : ١٤×٢٠ سم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة السادسة

١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوب وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الناشر.

دار الإمام الغزالي

دمشق - فحامة - شارع خالد بن الوليد - مقابل جامع زيد بن ثابت الأنصاري

هاتف: ٢٢٣٥٠٥٢ ص.ب: ٤٤٨

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ [ق : ٣٧]

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي

تقديم فضيلة الدكتور
محمد سعيد رمضان البوطي

من أبرز ما منَّ الله به على دمشق ، وميزها به عن كثير من البلاد الأخرى ، أنه أكرمها بسلسلة من العلماء موصولة الحلقات ، تتوارث شرف النهوض بحراسة الدِّين ونشر العلم وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وقد متَّع الله عز وجل كلاً منهم ، بالإضافة إلى هذا القاسم المشترك الذي يجمعهم ، بمزية قد لا تجدها في غيره ، تكسبهم مزيداً من التآلف والتعاون ، وتسير بهم على طريق البناء والتكامل. . وإنها لحكمة ربانية بارزة ، لا تخفى على ذي بصيرة وفهم .

ولقد كانت للعالم الرباني ، الشيخ عبد الكريم الرفاعي ، مزية فريدة اختصّه الله عز وجل بها . كان شديد التواضع ، مبالغاً في نكران ذاته ، وإهمال النظر إلى نفسه . إن تكلم

أقرانه في المجالس غلب عليه الصمت ، وإن ثار فيما بينهم النقاش آثر الإصغاء إليهم والاستفادة منهم .

ولولا العلم الغزير الذي أكرمه الله به ، والحكمة العالية التي متَّعه الله بها ، والتي كانت تتجلّى في أنشطته ودروسه وإرشاداته ، لأمكن تفسير تواضعه العظيم ذاك بنوع من المسكنة أو الدروشة!

وعندما يمتزج تواضع جبلّي كهذا الذي كان يتمتع به الشيخ عبد الكريم ، بعلم غزير وحكمة باهرة كاللتين أكرمه الله بهما ، فإنه لمزيجٌ ربّاني نادر ، يتوج صاحبه بمزية عالية ، تشهد له عند الله بالاصطفاء والاجتباء .

لقد كان ـ وهو المتواضع إلى درجة المسكنة ـ أول من أقام في هذه البلدة ، العمل المسجدي ، في نطاق الدعوة الإسلامية ، على نظام منهجي مستقر . وربط روّاد المسجد بشبكة من الدراسات الإسلامية والثقافات والعلوم المعاصرة ، حتى انتشر عمله هذا في كثير من مساجد دمشق ، بدءاً من المسجد التأسيسي الأول ، مسجد سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه .

ولقد كان رحمه الله ذا فكر منهجي ، مؤمناً بضرورة النظام والتنظيم ، دون انكماش إلى عصبية أو انطواء على تحزب . . ومع يقيني بأنَّ هذه الصفات من أهم ما يجب أن يتحلّى به أئمة الدعوة إلى دين الله ، فإنني أجزم بأنها لم تكن لتُكْسِبَه النجاح الذي شهدته مساجد دمشق ، لو لم يَسْرِ فيها روح الإخلاص لوجه الله ، والتحرق على بلوغ مرضاة الله .

ولقد رحل الشيخ عبد الكريم الرفاعي ، مع من رحل من علماء هذه البلدة ، ورجال الدعوة فيها ، لملاقاة وجه ربه ، وإن عينه لقريرة برسوخ (العمل المسجدي) الذي أسسه في مسجد زيد بن ثابت ، ثم أبى الله إلا أن ينتشر ويمتد إلى عشرات المساجد من حوله .

ولولا فتنة رعناء ، انبعثت من تهاون قادتها بضوابط الدين وآدابه ، لدخل هذا العمل الرباني المبرور كل مساجد دمشق ، ولانتشر منها إلى معظم البيوتات والأسر ، ولما انكمش وانطوى على نفسه ، وتحول ، كما نرى اليوم ، إلى أثر بعد عين .

***

وهذه الرسالة التي يراها القارىء ، جزء من العمل الذي قام به الشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله ، على هذا الطريق .

فلقد رأى الحاجة الماسّة إلى كتاب مختصر جامع يحوي مبادىء العقيدة الإسلامية لطلاب الحلقات التمهيدية من روّاد المساجد ، وهم الذين لم يتخصصوا بدراسة الشريعة الإسلامية ، وأعوزهم التمكن في معرفة أوليَّات العقيدة ودلائلها . والحقيقة أن هؤلاء ، يمثلون عامة المسلمين ، ما دام إسلامهم حقيقة ، لا مجرد انتماء .

ولقد سدّت هذه الرسالة حاجة كبيرة ، بالنظر إلى هذه الطبقة من عامة المسلمين . إذ قلّ أن تعثر على رسالة جامعة لمبادىء العقيدة التي يجب أن يستيقنها كل مسلم ، صيغت بأسلوب يفهمه عامة المثقفين من أهل هذا العصر ، كهذه الرسالة .

وهي كما ترى ، كتيّب صغير من حيث الحجم ، ولكن مضمونه يشتمل على كل ما يجب أن يعلمه المسلم ، باختصار وتبسيط .

وقد يلاحَظُ أنه خال من الإشارة إلى الشبهات التي يروّجها الملاحدة وأصحاب المذاهب الهدامة ، ومن الردّ عليها . وهذا صحيح . والسبب أن الشيخ رحمه الله ، إنما ألّفه كما قلنا للعامة ، أو لطلاب العلم في مراحلهم التمهيدية الأولى . وهؤلاء لا يحتاجون إلى أكثر من ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية في عقولهم ، مدعومة ببراهينها الأساسية .

إذ أغلب الظن أن شيئاً من تلك الشبهات لم يتسرب بعد إلى عقولهم ، بل لم تتهيأ ثقافاتهم للوقوف عندها فضلاً عن التأثر بها .

* * *

وبعد ، فلقد استبشرت عندما علمتُ بقرب صدور طبعة جديدة لهذا الكتاب . ورجوت الله عزَّ وجل أن تكون عودة انتشاره إيذاناً بعودة انتشار العمل المسجدي الذي طال انتظارنا له واشتياقنا إليه ، على هذه الأرض المقدسة المباركة ، بقيادة الصفوة من تلامذة الشيخ عبد الكريم رحمه الله .

فاللهم استجب بمحض فضلك وكرمك . واللهم اجعله

في هذه المرة محصَّناً بتوفيقك ، مكلوءاً بعين عنايتك ، حتى لا تتسـرب إليـه شـائبـة ، ولا يستغلّـه أصحـاب الأمـانـيّ والأغراض .

محمد سعيد رمضان البوطي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مقدّمة الطبعَة الأولىٰ

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وآل كل وصحب كل أجمعين وبعد :

لقد مَنَّ الله على عباده بإرسال من يدعونهم إلى توحيده ومعرفته على قواعد علمية تقنع كل ذي عقل سليم ، ولا ينكره إلا كل جهول أو ذو عقل سقيم .

وإنَّ من فضل الله على الأمة الإسلامية خاصة أن جعل رسولها خاتم المرسلين وحفظ عليها عقيدتها من التحريف والتغيير والتبديل إلى يوم الدين بفضل ما تناقله السادة العلماء ورثة الأنبياء بالسند المتصل إلى سيد الأنام صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه .

وممن أكرم الله بهم الأمة في هذا العصر فشهد بعلمه وإخلاصه وقيامه بالدعوة إلى الله الخاصة والعامة العلامة الكبير

فضيلة الشيخ عبد الكريم الرفاعي رحمه الله تعالىٰ الذي وقف نفسه دفاعاً عن صون العقيدة وحفظ الشريعة إلى آخر لحظة بل وآخر نفس من حياته .

فكان همه رحمه الله تعالى تصحيح العقيدة في نفوس الناشئة من أبناء هذه الأمة ، فتواضع لهم بسعة صدره مع غزارة علمه ورفعة قدره ، وصبر على تعليمهم وعلى ما يرد عليه من أسئلتهم ، فأزال عن العقول ما علق بها من كلمات التشكيك ، ورسخ فيها قواعد علم التوحيد ، حتى رأى رحمه الله تعالى ضرورة تبسيطها وجمعها في كتيب صغير في حجمه ليسهل فهمه على الخاصة والعامة ، ويكون سبباً لنجاة العالِم به يوم القيامة ، فأودع فيه : ما يجب على المكلف اعتقاده في حق الله تعالى، وحق رسله عليهم الصلاة والسلام ، وما يجب اعتقاده من الأمور الغيبية التي أتت في الكتاب والسنة .

وإن هذا الكتاب أول الطريق إلى المعرفة التي هي أعظم غاية للمؤمن من حياته ، حتى يرتقي إلى غيره من الكتب التي تزيده علماً ومعرفة في الدنيا ونجاة ودرجات في الآخرة .

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي أوجب على خلقه العقيدة الحقة ، وأمرهم أن يتمسكوا بالبراهين القاطعة ، القائل : ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ﴾ [يوسف: ١٠٨] ، والصلاة والسلام على نبيه الهادي إلى السبيل الواضحة ، والمبيِّن قواعد السعادة والنجاح ، وعلى آله وصحبه الذين اقتفوا أثره ، ودعوا الناس إلى هديه ، وبيَّنوا أحسن البيان .

وبعد : فلما كان درس التوحيد للمبتدئين في حاجة إلى تلخيص عقيدة مختصرة ، ممزوجة بالبراهين العقلية ، والآيات القرآنية ، اضطرني ذلك إلى عمل هذه العجالة ، وأرجو الله أن يقبلها ، ويجعلها خالصة لوجهه الكريم ، إنه قريب مجيب .

المؤلف

مقدمة علم

إنَّ مبــادي كُــلِ فَــنٍ عشــره الحـدُّ والمـوضـوعُ ثـم الثمـره
وفضلــه ونسبــةٌ والــواضــع والاسم الاستمداد حكم الشارع
مسائلٌ والبعضُ بالبعض اكتفىٰ ومن درىٰ الجميعَ حاز الشَّرفا

فالحدُّ ـ أي تعريف علم التوحيد ـ **لغة** : العلم بأن الشيء واحد .

وشرعاً : هو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ، والتصديق بها ذاتاً وصفات وأفعالاً .

وبمعنى الفن المدون : علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية من أدلتها اليقينية .

موضوعه : ذات الله سبحانه من حيث ما يجب له ، وما يستحيل عليه ، وما يجوز ، وذات الرسل كذلك ، والسمعيات من حيث اعتقادها .

ثمرته : معرفة الله تعالى بالبراهين القطعية ، والفوز بالسعادة الأبدية .

فضله : إنه أشرف العلوم لكونه متعلقاً بذاته تعالى ، وذات رسله ، وما يتبع ذلك .

نسبته : أنه أصل العلوم وما سواه فرع .

واضعه : أبو الحسن الأشعري(١) ومن تبعه ، وأبو منصور الماتريدي(٢) ومن تبعه .

اسمه : علم التوحيد ، ويسمى علم الكلام(٣) .

استمداده : من الأدلة العقلية والنقلية(٤) .

---

(١) هو علي بن إسماعيل المتوفى سنة ٣٢٤هـ .

(٢) هو محمد بن محمد المتوفى سنة ٣٣٣هـ .

(٣) قيل إنه سمي بذلك لكثرة الكلام في المناظرت التي تجري في مسائله ، وقيل إن صفة الكلام لما كثر الخلاف فيها نسب هذا الفن إليها .

(٤) الأدلة النقلية كالآيات القرآنية وهي كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ . . . ﴾ الآية وقوله عز وجل : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْآفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ . . . ﴾ الآية .

أما الأدلة العقلية فهي كالتي ستراها في أبحاث الصفات كالدليل على وجود الإله وعلى قدرته الخ .

حكم الشارع فيه : الوجوب العيني على كل مكلف ذكراً كان أو أنثى .

مسائله : قضاياه الباحثة عن الواجبات والجائزات والمستحيلات .

❊ ❊ ❊

أقسام الحكم

يقسم الحكم إلى ثلاثة أقسام : **شرعي** ، **وعادي** ، **وعقلي** .

- **فالشرعي** : يأتي في فن الأصول[1] .

- **والعادي** : هو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه بواسطة التكرار ، كالحكم على الملح الإنكليزي بأنه مسهل ، وعلى الإسبرين بأنه مسكن ، وعلى النار بأنها محرقة ، وعلى الطعام بأنه مشبع ، وغير ذلك . **وفيه أربع مذاهب** :

مذهب الطبيعيين ، ومذهب العقليين ، ومذهب المعتزلة ، ومذهب أهل السنة .

---

(١) وقد قالوا في تعريفه : هو خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين :
بالاقتضاء « أي الطلب سواء كان طَلَبَ فِعْلٍ أو طَلَبَ كَف » .
أو بالتخيير « أي المباح كالأكل والشرب » .
أو بالوضع « أي جعل الشيء سبباً أو شرطاً أو مانعاً أو صحيحاً أو فاسداً » . كما هو مبين في كتب الأصول .

مذهب الطبيعيين

يقـول الطبيعيـون : إن تسكيـن الأعصـاب مـن طبيعـة الأسبرين ، وكذلك سائر العقاقير المفيدة في دفع الأمراض الخاصة ، فإنها عندهم من طبيعتها ـ أي بدون مؤثر ـ وكذلك الحكم على النار بالإحراق وغير ذلك ، **وإن من يعتقد هذا المذهب كافر بإجماع المسلمين** .

مذهب العقليين

أما العقليون فإنهم يقولون : إن التسكين الحاصل من الأسبرين ، والإحراق الحاصل من النار ، وغير ذلك ، إنما هو بخلق الله تعالى وقدرته ، ولكن بين النار والإحراق ، والملـح الإنكليـزي والتسهيـل ، مـلازمـة عقليـة لا يمكـن انفكاكها ، **ومن يعتقد هذا فهو فاسق وربما جره إلى الكفر** ، كأن ينكر معجزات الأنبياء ، والأخبار الواردة عن طريق القرآن والشرع من إرجاع هذا الجسم من ذراته المتفرقة ، وطي السمـوات ، وتبـديـل الأرض ، ودنـو الشمـس مـن رؤوس الخلائق ، وغير ذلك مما يكون إنكاره كفراً .

مذهب المعتزلة

ويرى المعتزلة أن الملازمة بين النار والإحراق وغيرها ، هي ملازمة عادية ، وهذه التأثيرات الحاصلة من هذه المؤثرات بقوة جعلها الله بها **ومعتقد هذ المذهب مبتدع .**

مذهب أهل السنة

أما أهل السنة فيعتقدون أن بين هذه الأسباب ومسبباتها ملازمة عادية يخلقها الله عندها لا بها(١) ، ويخرق الله هذه العادات إما معجزة لنبي أو كرامة لولي ، إلى ما سيأتي في بحث النبوات ، فالنار ملازمة للإحراق ملازمة عادية ، ويمكن أن يخرق الله هذا الملازمة ، ويجعل النار برداً وسلاماً كما فعل بسيدنا إبراهيم صلوات الله عليه ، وهكذا في كل الأمور ، **وإن من يعتقد هذا المذهب فهو المؤمن المحقق لإيمانه .**

---

(١) الفرق بين مذهب أهل السنة ومذهب المعتزلة أن أهل السنة يقولون : إن الله يخلق هذه التأثيرات عند وجود هذه الأسباب . أما المعتزلة فإنهم يقولون : إن الله جعل قوة في هذه الأسباب هي التي أثّرت في هذه المسببات .

ـ **وأما الحكم العقلي فهو** : إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع[1] ، وهو ـ أي الحكم العقلي ـ ثلاثة أقسام :

واجب ، مستحيل ، جائز .

الواجب

هو ما لا يتصور في العقل عدمه ، ويكون بدهياً ونظرياً[2] .

فالبدهي : نحو قولك « الجرم متحيز[3] » .

والنظري : نحو قولك « الله موجود » .

---

(١) **أما المتوقف على التكرار فهو العادي** كتكرر تناول الملح الإنكليزي للحكم بأنه مسهل وهكذا كل الأشياء العادية ، **والمتوقف على وضع واضع هو الحكم الشرعي** كوجوب الصلاة فإنه متوقف على إعلامنا بأن الله هو الذي وضع الوجوب للصلاة وغير ذلك .

(٢) **البدهي** : هو ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال كالمثال المذكور .

والنظري : هو الذي يحتاج إلى إقامة الدليل كالدليل على وجود الإله كما سيأتي في الأدلة على صفات الإله .

(٣) **التحيز** : هو أخذ الجرم ـ « بكسر الجيم أي الجسم » ـ محلاً من الفراغ .

المستحيل

هو: ما لا يتصور في العقل وجوده، ويكون بدهياً ونظرياً.

فالبدهي : « كخلو الجرم عن الحركة والسكون » .

والنظري : « كوجود شريك له تعالى » .

الجائز

ما يصح في العقل وجوده وعدمه ، ويكون بدهياً ونظرياً .

فالبدهي : « كالحركة للجسم » .

والنظري : « كتعذيب المطيع الذي لم يعص الله قط » ، فإن هذا الجائز لم نحكم أنه جائز إلا بعد ما عرفنا أن الله هو المنفرد بإيجاد الأشياء وإعدامها ، فهو الخالق للعبد وعمله ، فلا تأثير لفعل الطاعة والمعصية في الثواب والعقاب ، بل الثواب والعقاب ودخول الجنة بمحض اختيار الله ، فإذن يجوز عقلاً أن يجعل علامة دخول النار الطاعة ، ولكن الذي أوجبه الشارع ولا يكون خلافه هو أن المعصية والكفر يكونان سبباً لدخول النار ، وأن الإيمان والطاعة هما السبب في دخول الجنة ، والله أعلم .

* * *

بحث المعرفة

المعرفة : هي الحكم الذهني الجازم المطابق للواقع عن دليل . كحكمنا بوجود الله ، ووحدانيته ، إلى آخر العقائد. . .

فمن لم يجزم بأن شكَّ أو ظنَّ بأن الله موجود ، أو غير ذلك فهو كافر بإجماع المسلمين .

ومن اعتقد اعتقاداً غير مطابق للواقع ، كاعتقاد النصارى بالتثليث ، والوثنية بالتجسيم ، وغير ذلك من المعتقدات الباطلة ، فهو كافر بإجماع المسلمين .

ومن اعتقد عقيدة صحيحة ، جازماً بها ، مطابقة للواقع ، من غير دليل ، فقد اختلف في إيمانه ، قيل : إنه كافر ، والصحيح : أنه مؤمن عاص لتركه الدليل الذي أمر الله به في كتابه العزيز في مواطن كثيرة . كقوله تعالى : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد : ١٩] . وكقوله : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ . . ﴾ [العنكبوت : ٢٠] . والنظر هو طلب الدليل ،

كقوله : ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف : ١٨٥] .

وإن هذه المعرفة واجبة شرعاً لا عقلاً ، خلافاً[١] للمعتزلة وبعض الماتريدية . القائلين : بأن المعرفة واجبة عقلاً .

ويبنى على هذا الخلاف : أن أهل الفترة هم مكلفون بالعقيدة الصحيحة ، وإن لم يرد شرع ، ولم يأت نبي ولم ينزل كتاب ، ولم يجيء وحي على مذهب المعتزلة وبعض الماتريدية .

وأما مذهب الجمهور وهم الأشاعرة ، والمحققون من الماتريدية على أن أهل الفترة ناجون وإن بدَّلوا وغيَّروا ، وعبدوا الأوثان لقوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] .

---

(١) فالأشاعرة والمحققون من الماتريدية في أنها تجب شرعاً لا عقلاً .
والبعض الآخر من الماتريدية قال : تجب المعرفة فقط في العقل .
والمعتزلة يقولون : يجب بالعقل المعرفة وأحكام الشريعة ، بناء على أصلهم في التحسين والتقبيح العقليين .

وتجب هذه المعرفة على كل بالغ عاقل ، سليم الحواس الذي بلغته الدعوة .

ـ فالصبي غير مكلف بشيء ، وإنما المكلف وليه بتعليمه الفرائض ، والعقائد ، والسنن ، وبيان المحرمات ليجتنبها .

ـ والمجنون غير مكلف أيضاً ، ومن فقد السمع والبصر معاً غير مكلف أيضاً ، بخلاف السمع وحده ، أو البصر وحده ، فإنه مكلف بها .

ـ ومن لم تبلغه الدعوة غير مكلف أيضاً ، ومن نشأ بعيداً ولم تبلغه دعوة الإسلام غير مكلف .

* * *

مكتبة لسان العرب

بحث الإيمان

الإيمان لغة : هو مطلق التصديق . ومنه قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف : ١٧] . أي مصدق .

وشرعاً : هو التصديق بما جاء به محمد ﷺ مما عرف من الدين بالضرورة(١) إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي .

حيث يكفي الإجمال فيما يعتبر التكليف به إجمالاً ، كالإيمان بغالب الأنبياء والملائكة ، وكالإيمان بأنه يجب لله تعالى كل كمال ويستحيل عليه كل نقص إلى غير ذلك .

ولا بد من التفصيل فيما يعتبر التكليف به تفصيلاً كالإيمان بجمع من الأنبياء والملائكة .

---

(١) ما علم من الدين بالضرورة : أي ما اشتهر وشاع علمه عند العام والخاص كالعلم بأركان الإسلام الخمسة وكالعلم بحرمة الربا والخمر والزنا .

فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم المذكورون في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام : ٨٣ـ ٨٦] .

ويضاف على تلك الآية : إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، ذو الكفل ، آدم ، محمد ، عليهم الصلاة والسلام الذين ذكروا في آيات أخرى من كتاب الله تعالى . وهؤلاء هم المذكورون في القرآن الكريم والمتفق على رسالتهم .

وأما المختلف في نبوتهم فهم : ذو القرنين ، العزير ، لقمان ، وأما الخضر فلم يصرح باسمه في القرآن وإن كان المراد في آية ﴿ عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ﴾ وكذلك يوشع بن نون فتى موسى لم يصرح باسمه في القرآن .

فمن عرض عليه بعد تعليمه واحد من غير المختلف في نبوتهم فأنكر نبوته أو رسالته كفر .

والذي يجب معرفته تفصيلاً من الملائكة : **جبريل** ، **وميكائيل** ، **وإسرافيل** ، **وعزرائيل** ، **ورضوان** خازن الجنة ، **ومالك** خازن النار ، **ورقيب وعتيد** ، فيكفر منكر شيء من ذلك .

وأما منكر ونكير فلا يكفر منكرهما .

ويجب الإيمان بحملة العرش والحافين به إجمالاً .

والخلاصة فالإيمان شرعاً : هو التصديق بما جاء به محمد ﷺ مما عرف من الدين بالضرورة إجمالاً في الإجمالي وتفصيلاً في التفصيلي .

واختلفوا في النطق بالشهادتين ، والصحيح عند الجمهور من محققي الأشاعرة والماتريدية وغيرهم : أنه شرط لصحة الإيمان لإجراء أحكام المؤمنين عليه ، من التوارث والتناكح ، والصلاة خلفه ، والصلاة عليه ، والدفن في مقابر المسلمين ، ومطالبته بالصلوات والزكوات ، فمن صدَّق ولم يقر بلسانه لا لعذر منعه ولا لإباء ، بل اتفق له ذلك فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية .

فيخرج من ذلك ما يلي :

١ـ المعذور كالأبكم ـ مع وجود قرينة تدل على إيمانه كالإشارة ـ وكمن اخترمته المنية قبل النطق بها من غير تراخ فهو مؤمن في الدنيا والآخرة .

٢ـ الآبي ـ عن النطق بالشهادتين ـ فهو كافر في الدنيا والآخرة ، ولو أذعن في قلبه فلا ينفعه ذلك ولو في الآخرة .

٣ـ ومن أقرَّ بلسانه ولم يصدِّق بقلبه كالمنافق فهو مؤمن في الأحكام الدنيوية « أي تجري عليه الأحكام السابقة » غير مؤمن عند الله .

ومقابل هذا القول ما يفيد : أن النطق بالشهادتين شرط في صحة الإيمان ، وهو كالقول بأنه شطر ، فيكون الإيمان عقيدة في القلب وقولاً في اللسان ، فمن لم ينطق بالشهادتين فهو ليس بمؤمن في الدنيا ولا في الآخرة ولا تجري عليه أحكامهما .

والإسلام لغة : مطلق الامتثال والانقياد .

وشرعاً : الامتثال والانقياد لما جاء به النبي ﷺ مما علم من الدين بالضرورة .

ومذهب جمهور الأشاعرة أنَّ الإيمان يزيد بزيادة الطاعات وينقص بنقصها ، قال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [الأنفال : ٢] . وقال أيضاً : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ [الفتح : ٤] . وقال أيضاً : ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة : ١٢٤] .

* * *

الواجبات لله تَعَالىٰ

يجب لله عشرون صفة وتقسم إلى أقسام :

واحدة نفسية : وهي الوجود .

وخمسة سلبية : وهي القِدَم ، البقاء ، المخالفة للحوادث ، القيام بالنفس ، الوحدانية .

وسبعة معاني : وهي القدرة ، الإرادة ، العلم ، الحياة ، السمع ، البصر ، الكلام .

وسبعة معنوية : وهي كونه قادراً ، مريداً ، عالماً ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً .

الصِّفَةُ النَّفْسِيَّةُ (الوُجُودُ) وَدَلِيْلُهَا

الصفة النفسية(١) هي الوجود ، وهو ما لا تعقل الذات ولا تتحقق بدونه ، فالله تعالىٰ موجود .

الدَّلِيْلُ

يدلنا على وجود الإله وجود هذا العالم ، المشتمل على هـذه الصفـات العجيبـة ، والخصـائـص الغـريبـة ، والنظـام البديع .

تقول فيه : العالم مركب من أجرام وأعراض ، كالحركات والألوان والأكوان(٢) . ولا يمكن لهذه الأجرام أن تفارق هذه الأعراض ، وهذه الأعراض حادثة بالمشاهدة ، وهذه الأجرام

---

(١) الصفة النفسية : هي ما لا تُعقل الذات بدونها ، كالجرمية وقبول الأعراض ، والحيوانية والناطقية بالنسبة للإنسان إذ لا تعقل ذاته ، ولا تتحقق بدون هذه الصفات ، والصفة النفسية لله تعالىٰ الواجب الوجود هي : الوجود .

(٢) الأكوان كناية عن الحركات والسكنات والاجتماع والافتراق .

ملازمة لها لا يمكن أن تنفك عنها عقلاً ، وتكون حادثة مثلها بسبب هذه الملازمة ، وكل حادث لا بد له من محدث ، وإلا لرجح أحد الأمرين المتساويين ، اللذين هما الوجود والعدم ، على الآخر بلا مرجح ، وذلك مستحيل ، إذن لا بد لهذا العالم من مرجح ، يرجح وجوده على عدمه ، أو بالعكس . ألا وهو الله القائل في كتابه العزيز : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] . وقال عز وجل : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣] . وقال تعالى : ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢١] .

* * *

الصِّفَاتُ السَّلْبِيَّة

يتصف واجب الوجود بخمس صفات تنفي عنه ما لا يليق به ، وتسمى بالصفات السلبية ، وهي :

١ـ القدم .

٢ـ البقاء .

٣ـ المخالفة للحوادث .

٤ـ القيام بالنفس .

٥ـ الوحدانية .

١ـ صِفَةُ القِدَمِ وَدَلِيْلُهَا

القِدَم : هو عدم افتتاح الوجود ، وبعبارة أخرى : هو عدم أولية الوجود ، والله سبحانه وتعالى لا أول لوجوده .

الدَّلِيْل

لو كان لوجود الإله أول لاحتاج إلى محدث ، ومحدثه يحتاج إلى محدث ، وهكذا. . . ، إما أن يتسلسل إلى غير نهاية ، وإما أن يرجع إلى الأول ، وكل من الدور والتسلسل مستحيل .

أما استحالة الدور فلما يترتب عليه من التناقض والتهافت ، مثال ذلك أن تقول : زيد أوجد عمرواً ، وعمرو أوجد زيداً ، فزيد سابق في الوجود على عمرو لأنه أوجده ، ومسبوق لأنه موجَد له ، وهكذا عمرو سابق لأنه موجِد ، ومسبوق لأنه موجَد ، والشيء الواحد لا يكون سابقاً ومسبوقاً في آن واحد لأنه تناقض مستحيل فإذن الدور مستحيل .

والتسلسل مستحيل لما يترتب عليه من اجتماع متناقضين أيضاً ، لأنه لو فرضنا أن هذا العالم متوقف على الذي قبله ، والذي قبله متوقف على الذي قبله ، إلى غير نهاية في جانب الماضي ، فتقول إن كل حادث من هذه الحوادث عدمه سابق عليه ، فإعدام هذه الحوادث جميعها قديمة أزلية ، فلو تسلسل الوجود إلى غير نهاية لاجتمع في الأزل وجود شيء مع عدمه وهو مستحيل ، فإذن التسلسل مستحيل(١) .

وإذا استحال الدور والتسلسل ثبت القِدَم لله تعالى القائل : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [العنكبوت : ١٩] . وقال سبحانه : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] . وقال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾ [البقرة : ٢٩] .

* * *

---

(١) وأيضاً لو كان الإله الخالق مثل خلقه يسبقه عدم لما أمكن أن يوجد هذا العالم ، لأن فاقد الوجود أصالة لا يعطيه ، فلا بد أن يكون الأصل في الإله : الوجود ، ويستند وجودنا المسبوق بعدم إلى الوجود الأصلي وهو وجود الله سبحانه وتعالى ، والقاعدة تقول : فاقد الشيء لا يعطيه .

٢ـ صِفَةُ البَقَاءِ وَدَلِيْلُهَا

البقاء : هو عدم آخرية الوجود ، فالله تعالى هو الذي لا آخر لوجوده .

الدَّلِيل

هو أنه سبحانه لو كان له آخر لجاز عليه العدم ، ولو جاز عليه العدم لاستحال عليه القِدَم ، لأن الجواز إذا ثبت ثبت سابقاً ولاحقاً ، لكن القِدَم أحال سبق العدم فانتفى جواز العدم مطلقاً ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص : ٨٨] .

* * *

٣ـ المُخَالَفَةُ لِلحَوَادِثِ وَدَلِيْلُهَا

المخالفة للحوادث : هي عدم المماثلة لشيء من الحوادث ، أي لا نظير ، ولا شبيه ، ولا مثيل له تعالى[١] .

الدَّلِيْل

ثبت أن العالم ـ وهو ما سوى الله تعالى ـ منحصر في الأجرام والأعراض ، وكل من الأجرام والأعراض قد قام الدليل على حدوثها ، ووجودها بعد العدم ، على ما تقدم في دليل الوجود ، وقد ثبت أنه تعالى قديم لا أول لوجوده ، وباق لا آخر لوجوده ، أي لا يسبقه عدم ولا يلحقه عدم ، فإذن يجب له تعالى أن يكون مخالفاً لجميع الحوادث ، لأن الحوادث كلها يجب لها العدم السابق ويجوز عليها العدم اللاحق ، والله تعالى يجب له القِدَم والبقاء ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

---

(١) **النظير** : هو المساوي ولو في بعض الوجوه ، **والشبيه** : هو المساوي في أغلب الوجوه ، **والمثيل** : هو المساوي في جميع الوجوه .

٤ـ القِيَامُ بِٱلنَّفْسِ وَدَلِيْلُهُ

القيام بالنفس : هو عدم الافتقار إلى محل أو إلى مخصص ، أي أن الله سبحانه ليس بصفة كما تدعيه بعض فرق النصارى والباطنية ، بل هو ذات .

الدليل

إن الله متصف بصفات المعاني كما سيأتي ، وكل من اتصف بصفات المعاني فهو ذات ، لأن الصفة لا تتصف بالصفة .

وذاته ليس كذوات الكائنات ، فلا تحتاج إلى من يخصصها بالوجود بدلاً عن العدم ، لأنه سبحانه وتعالى ذاته قديمة باقية ـ كما تقدم برهان ذلك في القِدَم والبقاء ـ وذوات الكائنات حادثة فانية ـ كما تقدم دليل ذلك في بحث الوجود ـ فإذن وجب له القيام بالنفس . قال جل وعلا : ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر : ١٥] .

* * *

٥ـ الوَحْدَانِيَّةُ وَدَلِيْلُهَا

الوحدانية : هي عدم التعدد ، أي أن الله واحد لا ثاني له في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله .

أما وحدة الذات فتنفي أن يكون الله مركباً من أجزاء ، وأن يكون له شريك .

وأما وحدة الصفات فتنفي أن يكون لأحد صفات كصفاته سبحانه وتعالى ، فليس لأحد قدرة كقدرته أو علم كعلمه إلى غير ذلك ، وتنفي أن يكون سبحانه له صفتان من نوع واحد ، بل له قدرة واحدة يقدر بها على جميع خلقه ، وله علم واحد لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر .

وأما وحدة الأفعال فتنفي أن يكون لأحد فعل كفعله سبحانه وتعالىٰ من خلق أو رزق أو إحياء أو إماتة ، وتنفي أن يعينه أحد أو يساعده في فعل من الأفعال .

الدليل

لو كان إلهان اثنان ، فإما أن يتفقا ، وإما أن يختلفا .

والاتفاق إما أن يكون واجباً ، وإما أن يكون جائزاً ، ولا يكون واجباً ، لأن قدرة الله يجب أن تكون عامة لسائر الممكنات ، والإله من خصائصه أن يتصف بغاية التكبر ونهاية التجبر ، فلو كان الموصوفان فيما تقدم قد اتفقا على أن يكون لأحدهما الأرض وللآخر السماء ، أو لأحدهما الإنسان والحيوان ، وللآخر الجماد والنبات ، فإن كان هذا الاتفاق واجباً ولا يمكن لأحدهما أن يخالف الآخر ، فيكون الإله مقهوراً مجبوراً ذليلاً ، وقد تقدم أن الإله قدرته عامة ، وسيأتي أنه مريد مختار ، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فإذن لا يكون الاتفاق واجباً ، وإن كان الاتفاق جائزاً فيقال : كلما جاز الاتفاق جاز الاختلاف .

وإليك دليل الاختلاف :

إنه لو كان إلهان واختلفا ، فهذا يريد إيجاد العالم ، وهذا يريد إعدامه ، فإن نفذ مرادهما فقد اجتمع النقيضان وجود

العالم مع عدمه ، وهذا مستحيل ، وإن لم ينفذ مرادهما لم يوجد شيء من هذا العالم وقد وجد ، وإن نفذ مراد أحدهما ولم ينفذ مراد الآخر فالذي نفذ مراده هو الإله ، والذي لم ينفذ مراده مقهور مجبور ذليل مخلوق غير خالق . قال الله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٢] . وقال عز شأنه : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [المؤمنون : ٩١ـ٩٢] .

* * *

صِفَاتُ المَعَانِي

وهي :

١ـ القدرة .

٢ـ الإرادة .

٣ـ العلم .

٤ـ الحياة .

٥ـ السمع .

٦ـ البصر .

٧ـ الكلام .

١ـ القُدْرَةُ وَدَلِيْلُهَا

القدرة : هي صفة وجودية قائمة بذاته تعالى يتأتىٰ ـ أي يصلح ـ بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة .

الدليل

أنه تعالى لو لم يكن قادراً لكان عاجزاً ، ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من هذا العالم ، وقد وجد ، فإذن انتفى العجز وثبتت القدرة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٤] .

وإن هذه القدرة عامة لسائر الممكنات ، لأنها إذا صلحت لممكن ، صلحت لسائر الممكنات ، لوجود التماثل وعدم

الترجيح ، فإن كل ممكن يساوي غيره من الممكنات في صفاته الذاتية ، كالجرمية وقبول الأعراض ، فإذا تعلقت القدرة بممكن ما ، وجب أن تتعلق بسائر الممكنات كما ذكر[1] .

* * *

(١) فإذا تعلقت بالإنسان فيجب أن تتعلق بالجماد ، وإذا تعلقت بالأرض فيجب أن تتعلق بالسماء إلى غير ذلك ، لتساويها بالجرمية وقبول الأعراض .

٢ـ الإِرَادَةُ وَدَلِيْلُهَا

الإرادة : هي صفة وجودية قائمة بذاته تعالى تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه .

وذلك البعض هو المعني بقول الراجز :

الممكنــات المتقــابــلات وجـودنـا والعـدم الصفـات
أزمنـــة أمكنـــة جهـــات كذا المقادير روى الثقات

فتخصص الممكن بالوجود بدلاً عن العدم ، وتخصصه بالصفة الفلانية بدلاً عن ضدها ، كالعلم بدلاً عن الجهل ، وبالزمن الفلاني بدلاً عن الذي قبله أو بعده ، وبالمكان الفلاني بدلاً عن غيره ، وبالجهة الفلانية بدلاً عن غيرها كالشرق بدلاً عن الغرب ، وبالمقدار الفلاني بدلاً عن غيره الذي هو أطول منه أو أقصر منه ، وبالعكس في الجميع .

الدَّلِيْل

سائر الممكنات متماثلة في صفاتها الذاتية ، فهي أجرام

قابلة للأغراض من حركة أو سكون ، أو لون ، أو كون أو غير ذلك ، فكل ما يجوز على أحدهما يجوز على الآخر ، وكل ما يجب لأحدهما يجب للآخر ، وكل ما يستحيل على أحدهما يستحيل على الآخر ، فإذا رأينا في أحد هذه الأشياء ميزة ، أو اختصاصاً ، فذلك من إرادة الإله الذي يفعل ما يشاء ويختار ، فسيلان الماء ، وصلابة الحديد ، وحلاوة السكر ، وحرارة النار ، وعقل الإنسان وغير ذلك من هذه الخصائص التي اختص الله بها جنساً من الأجناس ، أو نوعاً من الأنواع ، أو فرداً من الأفراد ، هي بترجيح المختار العليم الذي اختص ما شاء بما شاء ، وإلا لجاز للحديد أن يكون سيالاً ، وللماء أن يكون صلباً ، وللإنسان أن يكون جموداً لا يعقل ، لأن هذه الصفات كلها جائزة على سائر المخلوقات باعتبار صفاتها الذاتية .

فإذن لا تكون هذه الخصائص التي نراها في هويات الأفراد ، وحقائق الأنواع ، وميزات الأجناس ، إلا بإرادة الله سبحانه وتعالى ، وقد قال : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ﴾ [القصص : ٦٨] .

تَعَلُّقُ القُدْرَةِ وَالإِرَادَةِ

إن القدرة والإرادة لا تتعلقان بالواجب ولا بالمستحيل وإنما تتعلقان بالجائز .

هذا وللقدرة سبع تعلقات :

تعلق قبضة : وهو تعلقها بعدمنا قبل وجودنا .

وتعلق بالفعل : وهو إيجاد الله تعالى الشيء بها .

وتعلق قبضة أيضاً : وهو تعلقها بالشيء بعد وجوده وقبل إعدامه .

وتعلق بالفعل أيضاً : وهو إعدام الله تعالى الشيء بها .

وتعلق قبضة : وهو تعلقها بعدمه بعد وجوده وقبل البعث .

وتعلق بالفعل : وهو إيجاد الله لنا يوم البعث .

وتعلق قبضة : وهو تعلقها بوجودنا إلى ما لا نهاية ، وهذا على التفصيل .

وأما على الإجمال فلها تعلقان : **تعلق صلوحي قديم**[١] ،

---

(١) وهو صلاحيتها في الأزل للإيجاد والإعدام .

وتعلق تنجيزي حادث ، والتنجيز خاص بالإيجاد والإعدام .

وذلك أن الواجب والمستحيل لا يقبلان الأثر لذاتهما ، والأثر هو الوجود بعد العدم أو بالعكس ، فالواجب لا يقبل العدم قطعاً لا سابقاً ولا لاحقاً ، والمستحيل لا يقبل الوجود قطعاً ، والقدرة والإرادة من صفات التأثير ، فهما إن تعلقتا بوجود الواجب كذات الإله يكون تحصيل الحاصل ، وهو مستحيل وتهافت . وإن تعلقتا بإعدامه يكون قلباً للحقيقة ، لأن الواجب لا يقبل العدم فلو عدم لا يكون واجباً ، وإن تعلقتا بإعدام المستحيل فهو تحصيل الحاصل أيضاً ، وهو مستحيل ، وإن تعلقتا بإيجاده فهو قلب للحقيقة أيضاً وهو مستحيل كما تقدم .

فإذن القدرة والإرادة لا تتعلقان إلا بالجائز ، وبهذا تعلم أن قدرة الله وإرادته ليس من وظيفتهما أن تتعلقا بالواجب والمستحيل ، ولو تعلقت القدرة والإرادة بالواجب والمستحيل لوقع نقص وتهافت وتخليط لا يقبله العقل ولا يقره الذوق ولا يرضاه المنطق ، وذلك يسلب الألوهية عمن يستحقها ويعطيها لمن لا يستحقها ، ويقلب حقيقة

الواجب ممكناً والمستحيل واجباً ، والممكن مستحيلاً إلى غير ذلك من التناقض المردود ، وإنما الكمال والواجب أن تقتصر القدرة والإرادة على تعلقهما بالممكن ، فإذن لا يرد قول من قال : « إن الله سبحانه وتعالى إذا لم يتخذ لنفسه زوجة أو ولداً يكون عاجزاً ، والعجز عليه مستحيل فإذن يجوز على الله أن يتخذ لنفسه زوجة أو ولداً » ولم ينتبه هذا القائل أن تعلق القدرة والإرادة لا يكون بالمستحيل ، وعدم تعلقهما بالمستحيل هو الكمال لئلا تقع هذه النقائض المتقدمة ، ولم ينتبه أيضاً أن الزوجة والولد لا يكونان إلا للمضطر الذي تسوقه الشهوة مرغماً عاجزاً على أن يدفعها عن نفسه ، ولا يكون الولد إلا للناقص الذي يريد أن يتكمل بولد يساعده على مهمات الحياة والعيش ، إلى غير ذلك من النقائض التي تنزه عنها القادر على كل شيء ، فإذن قصر الإرادة والقدرة على الممكن هو الواجب الذي لا يرضى العقل بغيره ، وما عداه هو الذي يقع فيه تخليط في المعقولات وهوس وجنون .

* * *

٣ـ صِفَةُ ٱلعِلْمِ وَدَلِيْلُهَا

العلم : هو صفة وجودية قائمة بذاته تعالى ينكشف بها الشيء على ما هو به ، على وجه الإحاطة ، بدون سبق خفاء .

الدَّليل

لو أنك رأيت خطاً مبدعاً في حسنه وتنسيقه وإملائه وقلت : إن هذا الخط قد وجد صدفة من غير عالم به ، ولا متقن لصنعه ، لقيل إنك مجنون ، فكيف بمن رأى هذه الأكوان ، من سماء وكواكب ، وأرض ونبات ، وما بث فيها من حيوان وهواء ومن بحار ، وما فيها من غرائب وعجائب كل ذلك متقن في غاية الإتقان ، ومحكم في غاية الإحكام ، ومنظم يسير في نظامه الذي طبعه الله عليه ، يؤدي كل وظائفه التي تربط الكون علويه وسفليه فينتج من ذلك مصالح تعيش فيها هذه المكونات وترتاح ، ولو أخل أحد هذه المكونات في وظيفته لما قامت هذه المصالح ، ولاختل هذا الكون ، أيكون

ذلك من غير علم ؟ سبحانه وتعالى عن قول المغترين وجهل الجاهلين ، قال تعالى : ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] . وقال سبحانه : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١] .

تَعَلُّقُ ٱلعِلْمِ

ويتعلق العلم بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق انكشاف ، إذ يعلم سبحانه أنه واحد لا شريك له وأنه قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء وهكذا سائر الواجبات ؛ ويعلم أن الشريك مستحيل وأنه يستحيل عليه أن يتخذ زوجة أو ولداً ؛ سبحانه عما يقول المفترون ، ويعلم سبحانه وتعالى هذه المكونات كلها وما يحدث فيها .

* * *

٤ـ صِفَةُ الحَيَاةِ وَدَلِيْلُهَا

الحياة : صفة وجودية قائمة بذاته تعالى تصحح لمن قامت به أن يكون مدركاً ، وهي لا تتعلق بشيء .

الدَّلِيْل

ثبت أن الله سبحانه وتعالى قادر ولا تكون قدرة بلا إرادة يترجح العمل ويبرز الفعل بها ، ولا تكون إرادة تخصص وترجح بلا علم ، فإذن لا تكون هذه الصفات من القدرة والإرادة والعلم بدون حياة ، والحياة شرط عقلي في إثباتها ، وقد قامت البراهين القاطعة على إثباتها ، إذن ثبتت الحياة ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] .

* * *

٥ـ٦ـ٧ـ السَّمْعُ وَٱلبَصَرُ وَٱلكَلامُ وَأَدِلَّتُهَا

السمع والبصر : صفتان وجوديتان ، قائمتان بذاته تعالى ينكشف بهما كل موجود ، ويتعلق السمع والبصر بالموجودات خاصة ، قديمة كانت أو حديثة ، ولا يتعلقان بالمعدومات سواء كانت مستحيلة أو جائزة .

الكلام : صفة وجودية قائمة بذاته تعالى منزهة عن التقديم والتأخير والصحة والإعلال ، وتتعلق صفة الكلام بالواجبات والجائزات والمستحيلات تعلق دلالة بخلاف العلم فإن تعلقه بها تعلق انكشاف .

الدَّلِيْل

الدليل الذي يُعْتَمد إنما هو النقل :

قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] .

وقال تعالى ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء : ١٦٤] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ [طه : ٤٦] .

وأيضاً لو لم يتصف بهذه الصفات لاتصف بأضدادها ، وهي الصمم والبكم والعمى وهي نقص ، والنقص عليه مستحيل بمقتضى دليلي القِدَم والبقاء المتقدمين .

وتجب لله تعالى هذه الصفات جميعها تفصيلاً ؛ أما إجمالاً فيجب له تعالى كل كمال .

* * *

الصِّفَاتُ الْمَعَنْويَّة

الصفات المعنوية سبعة : وهي كونه تعالىٰ قادراً ، مريداً ، عالماً ، حياً ، سميعاً ، بصيراً ، متكلماً ، وهذه الصفات تعرف مع أدلتها ومتعلقاتها من صفات المعاني المتقدمة .

* * *

المسْتحيْلات

علمت أنه يجب لله تعالى عشرون صفة تفصيلاً ، وهنا ستعلم أنه يستحيل عليه عشرون صفة تفصيلاً وهي أضداد الصفات الواجبة ؛ وأما إجمالاً فيستحيل على الخالق كل نقص كما يجب له كل كمال .

ويستحيل في مقابلة الوجود والقِدَم والبقاء : العدم والحدوث وطرو العدم ، وقد تقدمت أدلة وجوب الوجود والقِدَم والبقاء في أبحاثها ، وهي كفيلة في إبطال هذه المستحيلات الثلاث ، فلا حاجة إلى إعادة ذكرها .

ويستحيل في مقابلة المخالفة للحوادث : المماثلة للحوادث وتتحقق المماثلة بعشرة أشياء : **بالجرمية ، والعرضية ، والتقيد في الزمان ، والمكان ، وأن يكون في جهة ، أو تكون له جهة ، والصغر ، والكبر ، وأن يكون له غرض في فعله ، أو حكمه** . فهذه العشرة تستحيل على الله تعالى لأنها من صفات الحوادث .

١ـ تستحيل الجرمية : لأن الجرم لا يخلو عن الحركة أو السكون ، وكل من الحركة والسكون حادث بالمشاهدة ، والملازم للحادث الذي لا ينفك عنه عقلاً هو حادث مثله ، وثبت أن الله تعالى قديم ، فإذن قد استحال على الله سبحانه وتعالى أن يكون جرماً .

٢ـ تستحيل العرضية : لأن العرض من ألوان وأكوان وطعوم وروائح ، وغير ذلك من كيفيات وكميات كلها حادثة بالمشاهدة ، والله سبحانه وتعالى قام الدليل على وجوب قدمه وبقائه في بحث القِدَم والبقاء ، فانتفى عنه سبحانه أن يكون عرضاً .

٣ـ يستحيل التقيد بالزمان : لأن الزمن هو كناية عن حركة الفلك الدورية على قول الفلاسفة ، وأما أهل السنة فيقولون : إن الزمن هو كناية عن مقارنة متجدد موهوم لمتجدد معلوم(١)

---

(١) كقولك : آتيك عند طلوع الشمس . فطلوع الشمس متجدد معلوم ، الإتيان متجدد موهوم ، والمقارنة بينهما هي الزمن ولا شك أن المقارنة بين حادثين حادثة .

إزالة للإبهام ، وكل من المتجددين والمقارنة بينهما حادث ، كما يشعر بذلك عنوان اللفظ ـ أي كلمة تجدد ـ فهي تدل على الحدوث ، وأيضاً الفلك حركته حادثة بالدليل المتقدم في بحث الوجود ، فإذن استحال على الله تعالى أن يتقيد بالزمان ، لأنه قد تقدم الدليل على وجوب القدم والبقاء فيما سلف .

٤ـ **يستحيل التقيد بالمكان** : لأن المتمكن فيه إما ساكن أو متحرك ، وقد تقدم استحالة الحركة والسكون على الله تعالى فإذن استحال على الله تعالى أن يتقيد بالمكان .

٥ و٦ـ **يستحيل أن يكون الإله في جهة أو يكون له جهة** : لأن الجهة التي هي الفوق ، التحت ، الأمام ، الوراء ، اليمين ، الشمال ، لا تتصور ولا تعقل إلا ملازمة للجرم ، وقد تقدم استحالة الجرمية عليه ، فإذن لا يتصور أن يكون له جهة أو يكون في جهة .

٧ و٨ـ **يستحيل الكبر والصغر على الإله** : لأن الكبر معناه كثرة الأجزاء ، والصغر معناه قلة الأجزاء ، والمركب من أجزاء تجتمع وتتفرق حادث بالمشاهدة ، وقد قام البرهان على

وجوب القِدَم و البقاء فانتفى عنه الصغر والكبر بالمعنى المتقدم .

وأما قوله تعالى : ﴿ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد : ٩] فالمراد منه لازم المعنى ، وهو العظمة ، وكذلك كل ما ورد من هذه الألفاظ مثل الرؤوف ، الرحيم ، وغير ذلك ، فالمراد منها لازم المعنى وهو الإحسان وإرادته .

٩ و١٠ـ يستحيل الغرض في الفعل والحكم على الله تعالى : فالفعل كالخلق والإماتة والرزق ، والحكم كوجوب الواجبات ، وتحريم المنهيات ، وغير ذلك من الأحكام ، لأن الغرض يحتاج إليه الناقص ليكتمل به ، وقد وجب لله تعالى الكمال ، واستحال عليه النقص بمقتضى دليلي القِدَم والبقاء المتقدمين ، وأما قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] فليس المراد من هذه اللام العلة وإنما هي لام المقارنة ، والمعنى وما خلقت الجن والإنس إلا مقرونين بفروض العبادة .

ويستحيل في مقابلة القيام بالنفس : القيام بالغير ، بأن يكون صفة قائماً بغيره ، أو تكون ذاته مفتقرة إلى مخصص

وموجد ، فلو كان صفة لاتصفت الصفة بالصفة وهو مستحيل لما يترتب عليه من المتناقضات ، وذلك أن الصفة إن كانت القدرة واتصفت بالعلم ، فيلزم أن تكون القدرة لا قدرة ، لأنها العلم ، وأن العلم لا علم لأنه القدرة ، فيلزم عليه أن تقول : اجتمع قدرة وعجز وعلم وجهل إلى غير لك من المتناقضات التي لا آخر لها ، فإذن وجب له تعالى أن يكون ذاتاً متصفاً بالصفات ، وأن ذاته سبحانه وتعالى قديمة باقية على ما تقدم في بحث القيام بالنفس ، فلا يجوز أن تكون ذاته مفتقرة إلى مخصص ، فوجب له القيام بالنفس واستحال عليه القيام بالغير . قال تعالى : ﴿ ۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر : ١٥] .

ويستحيل في مقابلة الوحدانية : التعدد له سبحانه وتعالى في ذاته ، فلا شريك له بل هو سبحانه وتعالى واحد في ذاته وصفاته وأفعاله ، وقد تقدم في دليل الوحدانية ما يغني عن بيان ذلك .

ويستحيل في مقابلة القدرة : العجز ، لأنه لو كان عاجزاً لم يثبت شيء من الموجودات ولكنه وجد فاستحال العجز .

ويستحيل في مقابلة الإرادة : الفعل مع الإكراه والغفلة والسهو والنسيان والعلة والطبع ، وقد تقدم في بحث الإرادة الدليل على وجوبها له ، وهو ينفي أن يكون الفعل مع الكراهة[١] أو الغفلة أو النسيان أو السهو أو الذهول[٢] ، وينفي أيضاً أن يكون الفعل بالعلة أو الطبع .

بيان ذلك **أن الفعل يكون بالاختيار** ، وهو ما يصح من فاعله الفعل والترك . كحركة زيد بعمله الخاص ، **ويكون أيضاً بالعلة** وهو الذي يجب أن يصدر من فاعله ولا يمكنه أن يتركه كالضوء الحاصل من الشمس فإنه يجب الضوء منها ولا تستطيع أن تتركه ، وكحركة الخاتم عند حركة اليد فإنها تجب ولا يمكنه الترك ، ولا يتوقف هذا الفعل على وجود شرط أو انتفاء مانع ، **ويكون بالطبع** وهو ما يجب أن يصدر عن فاعله ولا يمكنه الترك ، ويتوقف على وجود شرط أو انتفاء

---

(١) الكراهة : وهي عدم إرادة الفعل أو الترك .

(٢) الذهول : هو ذهاب الشيء من الحافظة والمدركة أو من أحدهما ، فذهابه منهما هو نسيان ولا يمكن إدراكه بشيء . وذهابه من إحداهما هو سهو أو غفلة ويمكن تداركه بمراجعة دليل أو غير ذلك .

مانع ، وذلك كإحراق النار فإنه متوقف على شرط وهو المماسة للحطب الموقود مع عدم بلله ، وفعل الله سبحانه وتعالى هو فعل بالاختيار إن شاء فعل ، وإن لم يشأ لم يفعل ، ولا يصح أن يكون الله تعالى علة لوجود شيء أو طبيعة ، لأن معلول العلة ومطبوع الطبيعة لا يكون إلا معها ، فإن كانت العلة والطبيعة حادثتين فمعلولها ومطبوعها حادثان ، وإن كانتا قديمتين فمعلولها ومطبوعها قديمان ، والله سبحانه قد قام البرهان القاطع فيما تقدم على وجوب قِدَمه وبقائه ، وهذا العالم الذي هو فعل من أفعاله قام البرهان القاطع على وجوب حدوثه ، فإذن لا يكون صدور هذا العالم عن الله تعالى إلا باختياره وإرادته ، ولا يجوز أن يكون صادراً بالعلة ولا بالطبع .

ويستحيل في مقابلة العلم : الجهل[1] والظن والشك ،

---

(١) الجهل : هو عدم العلم بالشيء ، ويقال له الجهل البسيط : كجهل الجاهل بالنحو أو بأي علم آخر . وهناك جهل مركب وهو : عدم علمه مثلاً بالوحدانية واعتقاده بالتثليث فاعتقاده هذا هو جهل مركب .

الظن : ترجيح أحد الأمرين على الآخر ويقابله الوهم . =

والفعل مع الخطأ ، أو النسيان ، وكل ما يناقض العلم أو يضاده ، كيف وقد تقدم البرهان على وجوب علمه سبحانه وتعالى .

ويستحيل في مقابلة السمع والبصر والكلام : الصمم والعمى والبكم . وقد ثبت شرعاً له تعالى وجوب السمع والبصر والكلام فانتفت أضدادها .

* * *

= فإدراك الطرف الراجح هو الظن ، وإدراك الطرف المرجوح هو الوهم ، وإن كان الأمران على سواء فذلك هو الشك .

فقولنا : زيد عالم .

إما أن يترجح علمه على جهله عند المتكلم فعلمه وهو الراجح يقال له الظن وجهله وهو المرجوح يقال له الوهم ، وإما أن يكون علمه وجهله سواء عند المتكلم فذلك ما يدعى بالشك .

الجائزات

يجوز في حق الله تعالى فعل كل ممكن وتركه ، من ذلك رؤية الله تعالى في الدار الآخرة فهي جائزة عقلاً واجبة شرعاً . قال الله تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة : ٢٢-٢٣] . وقال تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام : ﴿ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وقد سألها سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام وهو نبي من أولي العزم يستحيل عليه الجهل بأحكام الألوهية ، فسأل ربه أن ينظر إليه فما قال له سبحانه لا يمكن رؤيتي ولكن علّق رؤيته سبحانه وتعالى على شيء ممكن وهو استقرار الجبل ، والمعلق على الممكن ممكن فقال له : ﴿ وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] .

ومن الجائزات فعل الصلاح والأصلح ، كلطف الله بخلقه وتسهيل مصالحهم الدنيوية والأخروية ، وعدم ما يزعجهم من أمراض وغيرها ، خلافاً لمن قال : إن الصلاح والأصلح

واجب على الله تعالى ، ولو كان كما قالوا لما وقعت محنة ولا تكليف ، وقد وقعت المحن والرزايا والبلاء ، وكلفنا الله تعالى بالشرائع ، فإنا نرى أنه خلق كافراً فقيراً مريضاً يعيش في البؤس ويموت على كفره فيكون خالداً في عذاب دائم في الآخرة ، فهذا وأمثاله يدل على أنه لا يجب على الله شيء مما يقال .

ومنها النبوة والرسالة : فالنبوة هي إيحاء الله تعالى إلى إنسان بشرع يعمل به ، فإذا أُمر بتبليغه فهي الرسالة والموحى إليه رسول ، والإيمان بوقوع الرسالة والنبوة واجب .

* * *

بعثة الرسل

يجب على كل مسلم أن يؤمن بأن الله تعالى قد أرسل رسلاً أصطفاهم من بني آدم وأرسلهم إلى الناس مبشرين ومنذرين ، ومبينين لهم ما فيه صلاحهم في معاشهم ومعادهم ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء : ١٦٥] ، ذلك ما يجب الإيمان به إجمالاً .

وهناك أنبياء يجب الإيمان بهم تفصيلاً ، وهم خمس وعشرون نبياً من أنكر واحداً منهم فقد كفر ، وهم : **إبراهيم ، إسحاق ، يعقوب ، نوح ، داوود ، سليمان ، أيوب ، يوسف ، موسى ، هارون ، زكريا ، يحيىٰ ، عيسىٰ ، إلياس ، إسماعيل ، اليسع ، يونس ، لوط ، إدريس ، هود ، شعيب ، صالح ، ذو الكفل ، آدم ، سيدنا محمد ، صلوات الله عليهم أجمعين .**

* * *

حَاجَة النَّاس إِلىٰ ٱلرُّسُل

الناس محتاجون في كل زمان ومكان إلى المصلحين الذين يعملون على ما فيه سعادة الجماعة والأفراد ، إذ لولا المصلحون لظلَّ الناس في جهلهم يعمهون ، لا يفرقون بين الرشد والغي ، ولا بين الضار والنافع .

أما الأمم التي حرمت من المصلحين ، ولم يقيض لها من يرشدها من المفكرين فإنها تكون منحطَّة في كل شيء ، فرقي الأمم وانحطاطها منوطان بوجود المصلحين وعدمهم بلا نزاع .

❋ ❋ ❋

الواجبات للرّسُل

يجب في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام :
الأمـانـة ، العصمـة ، الصـدق ، الفطـانـة ، تبليـغ ما أمروا بتبليغه .

الأَمانةُ والعِصْمَة

الأمانة : هي حفظ ظواهرهم عليهم الصلاة والسلام وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو نهي كراهة أو خلاف الأولى ، فهم محفوظون ظاهراً من الزنا أو شرب الخمر أو الكذب وغير ذلك من منهيات الظاهر ، ومحفوظون باطناً من الحسد والكبر والرياء ، وغير ذلك من منهيات الباطن ، والصحيح أن أفعالهم عليهم الصلاة والسلام دائرة بين الواجب والمندوب ، فلا يقع منهم مكروه ولا خلاف الأولى ، بل ولا مباح على وجه كونه مكروهاً ، فإذا وقع صورة ذلك فهو للتشريع فيصير في حقهم واجباً أو مندوباً كوضوئه عليه الصلاة والسلام مرة أو مرتين ، وبوله قائماً وشربه قائماً ، والمحرم لم يقع منهم إجماعاً ، وما أوهم المعصية فمؤول ولا يجوز النطق به في غير مورده إلا في مقام البيان ، وما وقع من آدم عليه الصلاة والسلام فهو (معصية صورة) ، لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر عنه بقوله : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ

﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه : ١١٥] فوقعت منه المعصية بالتناسي فهي معصية صورة ، وكذا يقال فيما وقع من إخوة يوسف على القول بأنهم أنبياء ، فإنه وقع منهم (صورة المعصية) وهم صغار دون البلوغ .

والدليل على وجوب الأمانة لهم والعصمة هو أن الله سبحانه وتعالى أمرنا باتباعهم في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم من غير تفصيل ، والله لا يأمر بمحرم ولا مكروه ولا خلاف الأولى ، فلا تكون أفعالهم محرمة ولا مكروهة ولا خلاف الأولى لأن الله تعالى قال : ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النحل : ٩٠] .

وقد قال العلماء بوجوب الاعتقاد في عصمة الأنبياء والملائكة .

والعصمة لغة : مطلق الحفظ .

واصطلاحاً : حفظ الله تعالى للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه .

ولا يجوز لنا سؤال العصمة بهذا المعنى ، فإن أريد المعنى اللغوي جاز لنا سؤالها ، والمشهور عصمة جميع الملائكة ،

وأما قولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ [البقرة : ٣٠] . فليس غيبة ولا اعتراضاً على الله بل مجرد استفهام ، وما ورد في قصة هاروت وماروت مما يذكره المؤرخون لم يصح فيه شيء من الأخبار ، بل هو افتراء اليهود وكذبهم ، وتبعهم المؤرخون في ذلك ، وقيل كانا رجلين صالحين سميا بالملكين تشبيهاً لهما بالملكين .

* * *

الصِّدْقُ وَالفطَانَةُ

الصدق : هو مطابقة خبرهم للواقع .

دليل وجوب صدقهم : أنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى بتصديقه لهم بمعجزته النازلة منزلة : صدق عبدي في كل ما يبلغ عني .

الفطانة : هي التفطن والتيقظ لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم الباطلة .

دليل وجوب الفطانة لهم عليهم الصلاة والسلام آيات في كتاب الله تعالى : كقوله ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ

قَوۡمِهِۦۚ ﴾ [الأنعام : ٨٣] . ومنها ﴿ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا ﴾ [هود : ٣٢] . ومنها ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل : ١٢٥] . ومن لم يكن فطناً بأن كان مغفلاً فإنه لا يمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة .

* * *

وجوب التبليغ

أما وجوب تبليغ ما أمروا بتبليغه فواضح ودليله أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق لكنا مأمورين بكتمان العلم .

* * *

المستحيلات على الرسل

ويستحيل عليهم أضداد هذه الصفات ، وهي الخيانة ، والكذب ، والغفلة ، وعدم الفطنة ، وكتمان شيء مما أمروا بتبليغه .

وإذا وجب للأنبياء عليهم الصلاة والسلام الصفات المتقدمة بأدلتها ، استحالت هذه الأضداد لاستحالة اجتماع الضدين .

والجائز في حقهم عليهم الصلاة والسلام ، الأكل ، والشرب ، والجماع الحلال ، وسائر الأعراض البشرية التي لا تؤدي إلى نقص في مراتبهم العلية كالمرض ، والإغماء القليل ، وأما التي تؤدي إلى نقص كالجذام ، والبرص ، والعمى ، وغيرها من الأمور المنفرة ، فإنها ليست بجائزة على الأنبياء ، وما يحكى عن سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام ، وما أشبه ذلك ، فهو باطل غير صحيح .

وأما السهو فممتنع عليهم بالأخبار البلاغية كقولهم :

الجنة أعدت للمتقين ، وعذاب القبر واجب . وجائز عليهم في الأفعال البلاغية كالسهو في الصلاة للتشريع .

والنبوة فضل من الله تعالى يؤتيه من يشاء من عباده ، فلا تكون بكسب ومباشرة أسباب مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة ، وتناول الحلال ، كما زعمت الفلاسفة ، والخلاف بين المسلمين والفلاسفة في أن النبوة مكتسبة أو غير مكتسبة ، مبني على الخلاف في معناها فالنبوة عند المسلمين هي ما تقدم أول البحث من أنها إيحاء... وذهبت الفلاسفة إلى أنها صفاء ، وتجل للنفس يحدث لها من الرياضات بالتخلي عن الأمور الذميمة ، والتخلق بالأخلاق الحميدة ويلزم على قولهم باكتسابها تجويز نبي بعد سيدنا محمد ﷺ ، أو معه ، وذلك يستلزم التكذيب للقرآن الكريم والسنة ، قال تعالى في حق الرسول ﷺ : ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَۗ ﴾ [الأحزاب : ٤٠] . وقال عليه الصلاة والسلام : « لا نبي بعدي »[1] وأجمعت الأمة على إبقائه على ظاهره .

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد .

المعجزات

أيَّد الله أنبياءه ورسله بالمعجزات حيث أظهرها على أيديهم تصديقاً لهم في دعوى النبوة والرسالة وفيما بلغوه عن الله عز وجل ، لأنها نازلة منزلة قوله تعالى : « صدق عبدي في كل ما يُبَلِّغ عني » .

والمعجزة لغة : مأخوذة من العجز ، وهو ضد القدرة .

وعرفاً : أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي الذي هو دعوى الرسالة أو النبوة مع عدم المعارضة ، وقال السعد في تعريفها : هي أمر يظهر بخلاف العادة على يد مُدَّعي النبوة أو الرسالة عند تَحدٍّ . وقد اعتبر المحققون فيها سبعة قيود :

١ ـ أن تكون قولاً ، أو فعلاً ، أو تركاً : كالقرآن ، وكنبع الماء من بين أصابعه ﷺ[١] ، وكعدم إحراق النار لسيدنا

---

(١) في الصحيحين من حديث جابر .

إبراهيم عليه الصلاة والسلام[1] ، وخرج بهذا القيد الصفة القديمة كما إذا قال آية صدقه : كون الإله متصفاً بصفة الاختراع .

٢ ـ أن تكون خارقة للعادة ، وهي ما اعتاده الناس ، واستمروا عليه مرة بعد أخرى ، وخرج بذلك غير الخارق للعادة ، كما إذا قال آية صدقه طلوع الشمس من حيث تطلع ، وغروبها من حيث تغرب .

٣ ـ أن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة ، وخرج بذلك :

الكرامة : وهي ما تظهر على يد عبد ظاهر الصلاح .

والمعونة : وهي ما تظهر على يد العوام تخليصاً من الشدة .

والاستدراج : وهو ما يظهر على يد فاسق خديعة ومكراً به .

والإهانة : وهي ما تظهر على يده تكذيباً له ، كما وقع

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٦٩ .

لمسيلمة الكذاب فإنه تفل في عين أعور ليبرأ فعميت الصحيحة .

٤ ـ أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكماً بأن تأخرت زمناً يسيراً ، وخرج بذلك الإرهاص ، وهو ما كان قبل النبوة والرسالة تأسيساً لها كإظلال الغمام له عليه الصلاة والسلام قبل البعثة .

٥ ـ أن تكون موافقة للدعوى ، وخرج بذلك المخالف لها كما إذا قال آية صدقي انفلاق البحر فانفلق الجبل .

٦ ـ أن لا تكون مكذبة له وخرج بذلك فيما إذا قال هذا الحجر أو هذا الحيوان يشهد بصدقي فنطق بأنه مفتر كذاب بدعوى النبوة .

٧ ـ أن تتعذر معارضته ، وخرج بذلك السحر ومنه الشعبذة ، وهي خفة في اليد يرى أن لها حقيقة ولا حقيقة لها كما للحواة .

وزاد بعضهم قيداً ثامناً ، وهو أن لا تكون في زمن نقض العادة ، كزمن طلوع الشمس من مغربها ، فخرج بذلك ما يقع من الدجال ، كأمره السماء أن تمطر فتمطر ، والأرض أن تنبت

فتنبت ، وقد نظم بعضهم أقسام الأمر الخارق للعادة فقال :

إذا مـا رأيـت الأمـر يخـرق عـادة
فمعجـزة إن مـن نبـي لنـا صـدر
وإن بـان منـه قبـل وصـف نبـوتـه
فالإرهاص سمه تتبع القوم في الأثر
وإن جـاء يـومـاً مـن ولـي فـإنـه الـ
ـكرامة في التحقيق عند ذوي النظر
وإن كـان مـن بعـض العـوام صـدوره
فكنـوه حقـاً بـالمعـونـة واشتهـر
ومـن فـاسـق إن كـان وفـق مـراده
يسمـى بـالاستـدراج فيمـا قـد استقـر
وإلا فيـدعـى بـالإهـانـة عنـدهـم
وقد تمت الأقسام عند الذي اختبر

* * *

السَّمْعِيَّاتُ

عذاب القبر ونعيمه

عذاب القبر : وإضافته للقبر للغالب . وإلا فكل ميت أراد الله تعالى تعذيبه عذب ، قبر أو لم يقبر . ولو أكلته الدواب أو حرق وصار رماداً وذري في الرياح .

وقد اتفق أهل الحق على أن المعذب هو البدن والروح جميعاً ، ويكون هذا العذاب للكافر والمنافق وعصاة المؤمنين ، ويدوم على الأولين وينقطع عن بعض عصاة المؤمنين ، ومن عذاب القبر ضغطه ـ أي التقاء حافتيه ـ حتى تختلف أضلاع المعذب .

ولا ينجو من ذلك أحد ولو صغيراً سواء كان صالحاً أو طالحاً ، إلا الأنبياء وإلا فاطمة بنت أسد وإلا من قرأ سورة الإخلاص في مرضه وسورة تبارك كل مساء ، ولو نجا أحد لنجا منها سعد بن معاذ الذي اهتز عرش الرحمن لموته كما ورد في الحديث الصحيح .

نعيم القبر : يكون للمؤمن لما ورد في ذلك من النصوص

التي بلغت مبلغ التواتر : من ذلك أن يفسح للمؤمن في قبره مَدَّ بصره يتنعم في الجنة حتى قيام الساعة .

وإليك بعض النصوص الواردة في الكتاب والسنة :

روى الخمسة عن البراء عن النبي ﷺ قال : « إذا أُقعد المؤمن في قبره أُتي ثم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ [إبراهيم : ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَحَاقَ بِءَالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾ [غافر : ٤٥-٤٦] .

وقد أخرج ابن أبي شيبة وابن ماجه عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يسلط الله على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً تنهشه وتلدغه حتى قيام الساعة لو أن تنيناً منها نفخ على الأرض ما أنبتت خضراء » .

* * *

البعث

البعث : هو عبارة عن إحياء الموتى وإخراجهم من قبورهم بعد جمع أجزائهم الأصلية .

والحشر : عبارة عن سوقهم جميعاً إلى الموقف الذي يقفون فيه بين يدي الله عز وجل . ولا فرق في ذلك بين من يجازى وهم الإنس والجن والمَلَك وبين من لا يجازى كالبهائم على ما صححه المحققون ، والآيات في ذلك كثيرة :

قال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ [آل عمران : ٢٥] .

وقوله تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [النساء : ٨٧] .

* * *

الوزن والميزان

يجب الاعتقاد في الوزن والميزان ، **فالوزن** هو : وزن أفعال العباد ، وهو ميزان واحد على الراجح .

قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم ﴾ [الأعراف : ٨ـ٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

* * *

السؤال والحوض والصراط

قد دلت عليه الأدلة السمعية ، **فالصراط** جسر ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحدُّ من السيف يعبره أهل الجنة وتزل به أقدام أهل النار .

قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم : ٧١] .

* * *

انتهى كتابُ المعرفة

في بيان عقيدة المسلم

ولله الحمد والمنة أولاً وآخراً

مكتبة لسان العرب
أ علاء الدين شوقي

المحتويات

مكتبة لسان العرب